كلّ شطر يفتّش عن الآخر ليكتمل به. فكان احتكاك، وكان نور، وكانت حرارة، وكان سعي، وكان وعي، وكانت شهوة، وكان فكر، وكان هدف، وكانت إرادة، وكان شوق وحنين إلى المعرفة، فإلى الغلبة على الموت، فإلى الإكتمال.

تلك خاطرة ألقي بها إلى الكتّاب والشّعراء الذين لا يحلو لهم شيء مثلما يحلو لهم التحدث عن المرأة وألغازها. فهي عندهم الشيطان وهي الملاك. وهي باب التهلكة ومعين الإلهام. وهي الحمامة الوديعة والحيّة الرقطاء. وهي مصدر اللّذّة وينبوع الألم. وهي التي تحبّ وما لحبّها ثبات. وتكره وما لكرهها آخر. دموعها بسمات، وبسماتها دموع. وهي التي لا حياة للرجل معها ولا حياة له بدونها. ذاك هرف وافتراء وهراء. فالمرأة في كلّ ما تعمل وتشتهي وتفكّر إنّما تفتّش عن ذاتها في شطرها الآخر الذي هو الرجل. وما يقال في المرأة يقال في الرجل. فالاثنان يسعيان أبداً، عن وعي وعن غير وعي، إلى المعرفة التي يستحيل أن تتمّ للواحد بدون الآخر. وكلّ ما يصدر عن كليهما من أفكار ومشاعر وأعمال تجاه رفيقه وتجاه الكائنات، شبيه كلّ الشبه بحركات من يتحسّس طريقه في الظلام. فآناً يظنّه وجد الطريق فيطرب. وآونة يراه ضلّه فيضطرب. ولكنه لا